جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقـــاف
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

الإسرائيليات فى تفسير الطبرى

دراسة فى اللغة والمصادر العبرية

الدكتـورة
آمال محمد عبد الرحمن ربيع

القاهرة
١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويلٌ لهم مما كتبت أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون﴾

«صدق الله العظيم»

البقرة : ٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

على سبيل التقديم

لبنى إسرائيل - كما وصفهم القرآن - خلائق لا يوجد بين غيرهم ممن خلق الله من يشاركهم فيها.

فهم - كما تحدث القرآن - سمّاعون للكذب أكّالون للسحت؛ وهم كما وصفهم القرآن أهل الربا يأخذونه وقد نهوا عنه، وتركوه للبشرية بلاء ما له دواء.

ثم هم قتلة الأنبياء بغير حق. والخائنون لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمتآمرون عليه ومن حزّبوا الأحزاب ضده فى غزوة «الخندق» بالمدينة.

ولم تخمد نزعات الشر والحقد فى هذا العنصر الشرير بفطرته بعد انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى وإنما تضاعف حقدهم على رسالته وكيدهم لها فى مصدريها الأساسيين كتاب الله وسنة رسوله، وكانت لهم فى ذلك أحابيل ومخططات. كانت بدايتها تظاهر عدد منهم بالدخول فى الإسلام ليتمكنوا تحت ستار إظهار الإسلام من الكيد له من داخله. وذلك بتسريب ما فى كتبهم من ضلالات وخرافات إلى كتب التفسير وإلى السنة خاصة مما عرف باسم «الإسرائيليات».

وتتحدث كتب السيرة عن ابن السوداء «عبد الله بن سبأ» ذلك اليهودى الذى كان له بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم دور خطير فى إضلال المسلمين بما كان يزعمه من الأكاذيب والأساطير التى روّجها مدّعيا أن عليًا رضى الله عنه سيرجع بعد وفاته، وأن روح الله حالة فيه. بل وبقى بعد وفاة علىّ يردد هذه الأكاذيب زاعماً أن عليا لم يمت وأنه موجود فى السماء وأن الرعد صوته والبرق تبسمه، وذلك تطبيقاً لفكرة «الرجعة بعد الموت» التى نادى بها ومنها:

* ادعاء أن للقرآن ظاهرا تتاح معرفته للعامة وباطناً لا يعلمه إلا الخاصة.
* الوضع والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.
* اضلال المسلمين فى هذين المصدرين الأساسيين بما أدخلوا فى التفسير ما ليس منه مما عرف بعد ذلك باسم «الإسرائيليات» بما لها فيها من تحريف وزيغ عن أصول كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولفظ الإسرائيليات هو ما اصطلح عليه المفسرون ورجال السنة فى وصفهم للأساطير والخرافات التى تسربت إلى كتب التفسير، ثم لوصفهم ما تسرب إلى بعض كتب الحديث من الأخبار المكذوبة

والأحاديث الموضوعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه الأساطير وهذه الأحاديث المكذوبة منقولة عن مصادر إسرائيلية كان مصدرها نفر ممن أسلم من اليهود مثل عبد الله بن سلام، وكعب الأحبار، ووهب بن منبُه مع بعض الخلاف بين بعض المؤرخين فى اتفاقهم على قصد الإساءة إلى الإسلام.

لكن المصطلح (الإسرائيليات) أصبح مقصودًا به كل ما سرب إلى كتب التفسير وكتب الحديث من أكاذيب مراد بها تشويه جوهر الإسلام وإضلال المسلمين بهذه الأكاذيب.

وقد تسربت الإسرائيليات إلى مجموعة من كتب التفسير الكبيرة عرضت الدراسة التى معنا لبيان ما فيها من الإسرائيليات.

لكن العناية الأساسية هنا هى بتفسير الطبرى الذى اتخذت الباحثة منه موضوع رسالتها للدكتوراه التى اتخذت موضوعها عن «الإسرائيليات» فى تفسير الطبرى.

ولأن الباحثة الدكتورة تجيد اللغة العبرية فقد كان لهذه الدراسة أهميتها حيث تمكنت وفقها الله من مراجعة هذه الإسرائيليات وردها إلى أصولها العبرية مما أعطى للرسالة تميزاً أثبتت به صدق ما ذاع عن الإسرائيليات فى التفسير والحديث.

* * *

والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية إذ يعتز بنشر هذه الدراسة فإنا نعتبرها دليلا ونموذجاً علمياً يستفاد به عند الشروع فى عملية تنقية بقية كتب التفسير من هذه الإسرائيليات؛ وهو ما وضعه المجلس ضمن خطته العاجلة لتنقية بقية كتب التفسير بعون الله حتى يتلقى المسلمون عقيدتهم من مصادرها الأصلية فى صورتها المنقاه من الإسرائيليات وغير الإسرائيليات.

والله من وراء القصد وهو دائما حسبنا...

د/ عبد الصبور مرزوق

مقدمـــــة

شغلت قضية الإسرائيليات كثيراً من الباحثين والدارسين الذين هالهم ما رأوه فى كتب التفسير المتوافرة بين المسلمين من روايات إثمها أكبر من نفعها، فوضعوا لنا أسفارهم التى تبين خطورة هذه الظاهرة، ثم بينوا بعض مظاهرها فى كتب التفسير، ووقفوا عند أسس معينة لقياس وتحديد أحجام الروايات حسبما توافر من علم وما أمكن لهم من جهد.

ومن أبرز الدراسات التى عالجت قضية الإسرائيليات بوجه عام[1] الدراسة القيمة التى أعدها الشيخ/ محمد بن محمد أبو شهبة عن الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير، ودراسة الشيخ محمد حسين الذهبى عن الإسرائيليات فى التفسير والحديث، ثم إشاراته لهذه الظاهرة فى دراسته الأخرى الصادرة فى ثلاثة أجزاء بعنوان: التفسير والمفسرون.

هناك أيضاً دراسة عرضت لقضية الإسرائيليات فى ثناياها وهى بعنوان «منهج المدرسة العقلية الحديثة فى التفسير»، أعدها فهد بن عبد الرحمن بن سلمان الرومى.

ومن الدراسات الحديثة فى هذا المقام والتى تتبعت بدايات ظهور الإسرائيليات تلك الدراسة التى أعدها حسنى يوسف الأطير بعنوان البدايات الأولى للإسرائيليات فى الإسلام.

كما أن هناك أطروحة ماجستير تم إعدادها حول الإسرائيليات فى تفسير قصة يوسف عند المفسرين ولم أوفق فى الاطلاع عليها حتى إعداد هذه الدراسة للطباعة[2].

والشق الثانى من دراستنا هذه يتعلق بابن جرير الطبرى، وهو بالإضافة إلى الإشارة إليه وإلى منهجه فى التفسير فى الدراسات التى تناولت الإسرائيليات بوجه عام، فقد أُفْرِدتْ له دراسات خاصة به، أبرزها أطروحة دكتوراه أعدها السيد أحمد خليل بعنوان «الطبرى المفسر»، ولم أتمكن كذلك من الاطلاع عليها لظروف خارجة عن إرادتى[3].

---

(١) أشير إلى كل هذه الدراسات فى ثنايا الفصل الأول عند الاستشهاد بمضامينها.

(٢) الأطروحة أعدتها سهير عبد الرحمن عطية بإشراف النعمان عبد المتعال القاضى عام ١٩٨٢م بقسم اللغة العربية بآداب القاهرة وهى تحمل رقم ٣٦٧٠ فى فهارس الرسائل الجامعية وغير منشورة، وغير متاح الاطلاع عليها لظروف خاصة بمكتبة الجامعة، كما لم أوفق فى العثور عليها بمكتبة كلية الآداب أو المكتبة العامة.

(٣) الأطروحة بإشراف أمين الخولى، قسم اللغة العربية بآداب القاهرة، عام ١٩٥٣م، وتحمل رقم ١٦ فى فهارس الرسائل الجامعية، وقد نشر صاحبها كتاباً بعنوان نشأة التفسير فى الكتب المقدسة والقرآن عام ١٩٥٤م، أشار فيه إلى منهج الطبرى فى التفسير.

ومن الدراسات التى اختصت بالطبرى [1] ومنهجه فى التفسير، دراسة الأستاذ الدكتور أحمد الحوفى، ودراسة الدكتور محمد بكر إسماعيل بعنوان: «ابن جرير الطبرى ومنهجه فى التفسير»، وكلها قد أشارت - حسب منهج صاحبها - إلى قضية الإسرائيليات عند الطبرى.

فالحديث عن قضية الإسرائيليات وبيان خطورتها ليس بجديد، كما أن تناول منهج الطبرى فى التفسير ليس بجديد على نحو ما بينت آنفاً.

ولكنى أحسب أن منهج هذه الدراسة يختلف عما سبقه من دراسات من وجوه عديدة أهمها.

أولاً: تعتمد هذه الدراسة على استقراء كامل لتفسير ابن جرير دون الاعتماد على مواضع بعينها مما اشتهر بورود الإسرائيليات فيه، دون تقرير ما أشير إليه من روايات إسرائيلية فى الدراسات السابقة إذ لم يثبت له أصل عبرى.

ثانياً: الاعتبار بالمتن أولاً لا السند بالنسبة لروايات الطبرى. ورد هذه المتون إلى مصادرها الإسرائيلية. أما ما لم تجد له أصلاً - وإن كان الراوى إسرائيلياً - فلا يدخل ضمن الإسرائيليات فى هذه الدراسة، فصحة سند الرواية لا يخرجها عن دائرة الإسرائيليات.

ثالثاً: اعتماد منهج مقارنة النصوص ودراستها دراسة لغوية بهد ف التأكيد على انتماء روايات الطبرى إلى الأصول الإسرائيلية.

رابعاً: تصنيف مجالات ورود الإسرائيليات اعتماداً على استقراء الروايات الواردة عند الطبرى، ومن ثم التنبيه على أماكنها من تفسيره، وفى نفس الوقت التأكيد على أن مثل هذه الروايات لم تتمكن على الإطلاق من الجانب العقيدى أو التشريعى.

وقد قسمت هذه الدراسة إلى **بابين اثنين، الأول:** بعنوان «الإطار العام» وينقسم إلى خمسة فصول:

بينت فى **الفصل الأول** ما هو ضرورى لمعرفة صاحب التفسير الذى نقوم بدراسته، وأهميته ومكانته فى هذا الفرع من فروع الدراسات الإسلامية، وذلك كله بإيجاز بالغ، فقد سبقتنى إلى هذا العمل دراسات متعددة أفدت منها وأشرت إليها فى موضعها.

وعالجت فى **الفصل الثانى** بداية ظهور الإسرائيليات وموقف الإسلام منها، حيث كان من الضرورى تحديد مفهوم المصطلح، والذى خالفت فيه من سبقنى من الباحثين. ويرتبط بذلك مباشرة تحديد المواطن التى جاء منها أصحاب هذه الإسرائيليات إلى جزيرة العرب، ثم كيف تسربت مثل هذه الروايات إلى التفاسير فى مرحلتى الرواية والتدوين.

وتناولت أيضاً فى هذا الفصل تقسيم العلماء للإسرائيليات إلى ما يوافق شريعتنا وما يخالفها وما هو مسكوت عنه، وبينت رأيى فى هذا التقسيم، باعتبار - أن ما يهمنا أن ننقى التراث منه هو

---

(١) أشرت فى ثنايا التمهيد إلى هذه الدراسات، واعتمدت عليها فى هذا الجزء من دراستى.

كل ما يخالف شرعنا، أما ما يوافق فهو مما قد تمت أسلمته، ولا يجوز لنا أن نطلق عليه لفظ الإسرائيليات.

كما تتبعت موقف السلف من العلماء المسلمين من رواية الإسرائيليات، على نحو ما نجد فى كتابات ابن تيمية وابن حجر العسقلانى وابن كثير وغيرهم، وكذلك موقف العلماء المتأخرين والمدارس المختلفة للتفسير وذلك من خلال استعراض وجيز لأبرز التفاسير وموقفها من هذه القضية مثل تفسير البحر المحيط لأبى حيان وأنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوى، ومدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفى ولباب التأويل للخازن وتفسير القرآن العظيم لابن كثير وغيره، بالإضافة إلى المفسرين المحدثين مثل الإمام محمد عبده والشيخ عبد العزيز جاويش والمراغى وغيرهم.

وتناولت كذلك قضية لغة المصدر الرئيسى للإسرائيليات فى التفسير، وهل كانت هناك ترجمة أو ترجمات عربية للنصوص العبرية أم لا، ثم ختمت الفصل ببيان أثر الإسرائيليات فى التفسير بوجه عام.

وفى الفصل الثالث: عَرَّفت بأهم المصادر العبرية التى انتقيت منها الروايات الإسرائيلية للتفسير مثل بعض أسفار العهد القديم وكتب المدراشيم (التفاسير) العبرية وبعض فصول التلمود والكتب الأخرى.

وفى الفصل الرابع: قمت بتصنيف للمجالات التى وردت فيها الإسرائيليات عند الطبرى وذلك من خلال ما تم استخراجه بناءً على استقراء كتاب الطبرى.

وفى الفصل الخامس: من هذا الباب تناولت موقف الطبرى مما أورده من الإسرائيليات، وهل كان الطبرى واعياً فى عصره بخطورة هذه الظاهرة، وكيف واجهها وتعامل معها فى كتابه موضوع الدراسة.

أما الباب الثانى: وهى بعنوان «الدراسة النصية للإسرائيليات» وقد قسمته إلى خمسة فصول تختلف فى عناوينها طبقاً لموضوعها الرئيسى، وتتفق فى منهجها، وذلك على النحو التالي.

الفصل الأول: النصوص المتطابقة.

الفصل الثانى : النصوص المتفقة فى المضمون.

الفصل الثالث: النصوص المجملة فى الآثار والمفصلة فى الأصول العبرية.

الفصل الرابع: النصوص المفصلة فى الآثار المجملة فى الأصول العبرية.

الفصل الخامس : الروايات ذات الإضافات والمبالغات.

وقد انتهجت فى كل فصل من الفصول السابقة ما يلى:

١ – إثبات نص الأثر الوارد عند الطبرى كاملاً مع الإشارة إلى موضعه من التفسير.

٢ – إثبات النص العبرى من مصدره.

٣ – ترجمة النص العبرى إلى العربية.

٤ – مقارنة النصوص من ناحية الشكل وذلك بإبراز ما تم أخذه من الأصل العبرى للرواية وما تم تركه وما أضيف وما حذف.....

٥ – إبداء الملاحظات اللغوية على النصوص عن طريق الإشارة إلى نماذج من الجمل فى كلا النصين: نوعها، وما حل بها من تقديم أو تأخير وإبراز ما حل بالأعلام المختلفة من تغييرات صوتية مع تحليل هذه التغييرات وفقاً للقوانين الصوتية.

وأنهيت دراستى بخاتمة، اشتملت على أهم النتائج التى توصلت إليها فى بحثى والتوصيات التى آمل أن تتحقق، ثم ذيلت ذلك بملحقين، هما فى رأيى أكثر إفادة للمسلم بعامة، والذى لا شأن له بتفاصيل مثل هذه القضية.

١ – الملحق الأول: وفيه قمت بحصر ما تأكد لى تماماً من روايات إسرائيلية فى تفسير الطبرى، وهو ما توصلت إلى أصوله العبرية وذلك من خلال إيراد رقم الأثر الوارد فيه الرواية، والمجلد والصفحة، ثم السورة التى ورد فيها، وموضوع الأثر بإيجاز، ثم مصدره العبرى الإسرائيلى.

٢ – الملحق الثانى: وفيه قمت بحصر أبرز رواة الإسرائيليات من خلال الرواية الفعلية لهم، وإذا كان عددهم يقدر بالمئات، فقد أوردت هنا فقط من روى أكثر من خمس روايات إسرائيلية، على اعتبار أنه بهذه الروايات قد دخل – فى رأيى – إلى قائمة من ينبغى التدقيق والتمحيص لرواياتهم.

ثم أنهيت ذلك كله بقائمة المصادر والمراجع العربية والعبرية والأجنبية، التى أوثق بها بحثى من ناحية، والتى أساهم بها فى وضع ببليوجرافيا تعين من يخوض هذا المجال، من ناحية أخرى.

وما أود الإشارة إليه هنا، هو أن تفسير ابن جرير الطبرى مازال يحمل بين مجلداته العديد من الروايات الإسرائيلية التى وجدت إشارة لمصادرها العبرية فى بعض كتب الأساطير والتفاسير اليهودية، إلا أننى لم أتمكن على الإطلاق، وعلى مدى سنوات إتمام هذه الدراسة من العثور عليها داخل البلاد أو خارجها، وذلك لتوثيق هذه الروايات والتأكد من انتمائها الفعلى للإسرائيليات.

ومن ثم فإنى أوجه الدعوة للدارسين، لاستكمال مسيرة تحقيق تفسير الطبرى، والإشارة إلى ما ورد فيه من روايات إسرائيلية أو مبالغات لا تتفق مع النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة، كخطوة على طريق تقويم التفاسير القرآنية الموجودة بين أيدينا.

وعلى الله قصد السبيل

البـــــاب الأول

الإطـــار العـــــام

الفصـــل الأول

الطبـــرى وتفســـيره

مولده ونشأته:

هو أبو جعفر بن محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبرى، ولد فى «آمل» بإقليم طبرستان[1] ما بين سنتى ٢٢٤ - ٢٢٥هـ (٨٣٨ - ٨٣٩م)، أى بعد الفتح الإسلامى لها بما يقرب من مائة وستة وثمانين عاماً. وقد أرخ الطبرى بنفسه لمولده فقال: «كان أهل بلدنا يؤرخون بالأحداث دون السنين، فأرخ مولدى بحادث كان فى البلد، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث فاختلف المخبرون، قال بعضهم: كان ذلك فى آخر سنة أربع وعشرين ومائتين، وقال آخرون: بل كان فى أول سنة خمس وعشرين ومائتين[2].

وقد أجمع المؤرخون على أن وفاته كانت ببغداد وقد دفن فيها، ويرجح تاريخ وفاته فى السادس والعشرين من شوال سنة ثلاثمائة وعشرة من الهجرة [3].

واستناداً إلى مكان مولده، زعم بروكلمان أن الطبرى أعجمى الأصل حيث قال: «وأول من صنف تاريخاً كاملاً باللغة العربية منذ أول الزمان إلى أيامه مؤرخ أعجمى الأصل، هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى [4].

ويبدو أن بروكلمان قد خُدع بمولد الطبرى فى طبرستان فظن أنه أعجمى، لكن الشواهد تثبت بل وتؤكد عروبته. فأسلوب الطبرى فى تفسيره يخلو من اللحن واللكنة الأعجمية وتكلف الأعاجم.

يقول ابن كامل عن الطبرى: «ما سمعته لاحناً قط»[5].

---

(١) آمل هى عاصمة طبرستان الواقعة فى إيران جنوبى بحر قزوين وشمال جبال البرز فتحها العرب على يدى سعيد بن العاص عام ٦٥٠م وأطلقوا عليها هذا الاسم وكانت تسمى قبل ذلك مازندران، وقد تعاقب فى حكمها بعد العرب السامانيون والغزنويون والسلجوقيون والمغول ثم الفرس ١٥٩٦م. وقد سميت بطبرستان لكثرة الأطيار (الفؤوس الحربية) فى أيدى سكانها.

(٢) ابن حجر العسقلانى، لسان الميزان، مطبعة الهند، ١٣٣١هـ، ١٠٢/٥؛ السبكى، طبقات الشافعية الكبرى، المطبعة الحسينية المصرية، ١٣٢٤هـ/١٣٥.

(٣) ياقوت الحموى، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧م، ٤٠/٨، ٤٨؛ القفطى، إنباه الرواة على أنباء النحاة، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٨٦م، ٩٠/٣؛

(٤) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربى، نقله إلى العربية عبد الحليم النجار، دار المعارف، ط٥، ١٩٨٣م، جـ٣/٤٥.

(٥) معجم الأدباء لياقوت دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، طـ٣، ١٩٨٠م، ٤٩/١٨.

كذلك فإن خبرته الواسعة بأعراف العرب في الاستخدامات اللغوية، ومعرفته الدقيقة بلهجاتهم المتعددة وقدرته على التمييز بينها، كذلك معرفته لفصيحها وغريبها ودقائقها، كلها شواهد على عروبته.

ولقد نشأ الطبرى فى بيت علم وبيئة دينية حيث اهتم أبوه بتعليمه اللغة العربية وحفظ القرآن فى بلد من بلدان الفتوحات الإسلامية، فأتم الطبرى حفظ كتاب الله وهو فى السابعة من عمره، وصلى بالناس وكتب الحديث وعمره لم يتجاوز التاسعة.

وثمة برهان آخر على عروبة الطبرى يبرز من خلال تاريخه الكبير ويتمثل فى استهلاله لكثير من نصوصه التاريخية بقوله: «وزعم بعض العجم»، «وتزعم المجوس»، «وأما الفرس فإنها تزعم....»[1].

وإذا أضفنا إلى ما سبق أسماء آبائه وأجداده التى تخلو من الأسماء الأعجمية، استطعنا أن نؤكد عروبة الطبرى وأنه وقد ولد فى طبرستان لأبوين عربيين ينتميان إلى جيل العرب الفاتحين الذين جاءوا إلى هذه البلاد فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه.

وقد اتفق ابن النديم وابن خلكان والصفدى على أن الجد الثانى للطبرى هو خالد بن غالب وليس كثير بن غالب على نحو ما ذهب الآخرون.

ولقد تميز الطبرى بالزهد والورع والسخاء والحلم والصدق وسلامة الفطرة، وكان زهده وورعه مضرب الأمثال، إذ عاش حياته طالباً للعلم منصرفاً إليه، عازفاً عن الشهوات والملذات، ويبدو أنه قد حاكى فى بعض هذه الصفات والده وتأثر به فى زهده على وجه الخصوص، وقد جعلت هذه السجايا للطبرى مكانة عند تلاميذه وكذلك عند شيوخه[2].

كما اشتهر الطبرى فى عصره بالحلم والتواضع والخشوع وعزة النفس، وكان جريئاً فى الحق شجاعاً فى الإفصاح عما يعتقد، سمح النفس، دمث الأخلاق، مجتهداً فى طلب العلم دون فتور أو وهن، يتسم بظرف ودعابة ولين جانب مما حبب الناس فيه، وقربهم إليه.

ثقافتـــه :

أما ثقافة الطبرى فواسعة ومتنوعة، تغلب عليها العلوم الدينية والأدبية والتاريخ.

فتشمل ثقافته الدينية اجتهاده فى الفقه وتمكنه من هذا العلم، كما كان على إلمام بعلم القراءات واختلاف الفقهاء على الرواية، وقد ألف فى ذلك كتاباً من عدة مجلدات جمع فيه المشهور والشاذ وعلل لرأيه وشرحه واختار لنفسه منها[3].

---

(١) على سبيل المثال انظر: تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، جـ٢/١٢وغيرها.

(٢) نماذج من ورعه وزهده فى طبقات الشافعية ١٣٧/٢؛ معجم الأدباء/١٨.

(٣) معجم الأدباء ٤٥/١٨.

وتضم ثقافته الأدبية معرفة دقيقة باللغة نحوها وصرفها وعروضها وبلاغتها، وله فيها مناظرات تدل على تمكنه وتذوقه، كما تعكس كثرة استشهاده بالشعر الجاهلي الذى حفظ منه الكثير واستعان به فى تفسير القرآن الكريم.

أما الجانب التاريخي من ثقافته فيعكسه ذلك السفر الضخم الذى ألفه الطبرى فى تاريخ الأمم والملوك، والذى لا يُنكر فضله فى تأريخ الزمان، وقد أشاد به العرب والعجم.

وبالإضافة إلى الملامح الرئيسية لثقافة الطبرى والتى أشرت إليها آنفاً، يذكر أن الطبرى قد ألم بغيرها من العلوم والمعارف، فقد كان عالماً فى الفلسفة والمنطق والجدل والحساب والجبر والطب، وكانت مقدرته فى الجدل تظهر من نقضه لآراء معارضيه التى لا يقرها.

ولعل جماع صفاته ليتضح من أقوال العلماء فى الطبرى حيث قال الخطيب البغدادى فيه «كان أحد أئمة العلماء يُحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته، وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات، بصيراً بالمعانى، فقيهاً فى أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين فى الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور فى تاريخ الأمم والملوك، وكتاب فى التفسير لم يصنف أحد مثله»[1].

وقال أبو حامد الإسفراييني: «لو سافر رجل إلى الصين، حتى يحصل له كتاب تفسير ابن جرير. لم يكن ذلك كثيراً»[2].

وقال ابن خزيمة فى تفسير الطبرى: «قد نظرت فيه من أوله إلى آخره، وما أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير»[3].

وقال أبو على الأهوازى: «كان الطبرى عالماً بالفقه والحديث والتفسير والنحو واللغة والعروض، له فى جميع ذلك تصانيف فاق بها على سائر المصنفين»[4].

وقال الذهبى: «كان ثقة، صادقاً، حافظاً، رأساً فى التفسير، إماماً فى الفقه والإجماع والاختلاف، علامة فى التاريخ وأيام الناس، عارفاً بالقراءات واللغة، وغير ذلك»[5].

---

(١) الخطيب البغدادى، تاريخ بغداد، مطبعة السعادة بمصر، ١٣٤٩هـ - ١٩٣١م، جـ٢/١٦٣.
(٢) ابن عماد الحنبلى، شذرات الذهب فى أخبار من ذهب، ٢/٢٦٠.
(٣) انظر مقدمة تاريخ الطبرى، ص: ٤.
(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموى، ١٨/٤٥.
(٥) الذهبى، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة بيروت،جـ٢، ١٩٨٤م، جـ١٤/٢٧١.

شيوخه وأساتذته:

ولقد ساعدت الظروف والأقدار الطبرى كى ينبغ ويبرز، فبالإضافة إلى صفاته وما حباه الله به من عقل صائب وبصيرة نافذة وذاكرة حافظة واعية وخلق فاضل، تتلمذ على أيدى الكثير من علماء عصره، ذلك العصر الذى يعتبر من أزهى عصور العلم والمعرفة (القرنان الثالث والرابع الهجريان) حيث استقرت المذاهب الفقهية الأربعة وكثرت مؤلفاتها، ووضعت الكتب الصحاح فى الحديث، واستقرت القراءات، وبرزت مدارس جديدة فى التفسير كالتفسير بالرأى، كما أخذت العلوم اللغوية فى النضوج، كما وضعت آنذاك كتب السيرة والمغازى والفتوح.

كما تنقل الطبرى بين العديد من العواصم والبلدان فسافر إلى العراق والشام ومصر ونهل من مناهلها الغزيرة.

ففى مجال الفقه، تلقى فقه الشافعى فى بغداد عن الحسن بن محمد الصباح الزعفرانى وعن أبى سعيد الاصطخرى، وفى مصر عن الربيع بن سليمان المرادى وإسماعيل بن إبراهيم المزنى ومحمد بن عبدالله بن الحكم. وتلقى الفقه المالكى عن تلاميذ ابن وهب فى مصر.

أما فى مجال القراءات فقد أخذ عن يونس بن عبد الأعلى الصدفى فى مصر قراءة حمزة وقراءة ورش، كما درس القراءات فى بغداد على يدى أحمد بن يوسف الثعلبى، وفى بيروت قرأ القرآن كله برواية الشاميين على يدى العباس بن الوليد البيروتى.

وفى مجال النحو واللغة والأدب، تتلمذ الطبرى على يدى أحمد بن يحيى بن ثعلب إمام نحاة الكوفة فى عصره.

وقد التقى الطبرى بعلماء الحديث وعلى رأسهم أبو كريب، ويقال إنه سمع منه مائة ألف حديث[1].

تلاميـــــذه:

اتسمت علاقة الطبرى بتلاميذه بالود والمحبة والتقدير، فقد كان لعلمه مع خلقه أكبر الأثر فى تجمع الطلاب حوله، يجلونه ويحبونه ويقدرونه ويحرصون على الارتواء من أنهار علمه، ومن جانبه هو، فقد كان رفيقاً بهم، عطوفاً عليهم، لا يخص أحدهم بشىء من علمه دون الآخرين، وله مواقف عديدة مع طلابه تعكس ما اجتمع فى شخصه من صفات أشرت إليها فى الحديث عن أخلاقه[2].

وقد سلك تلاميذ الطبرى مسلك أستاذهم ومعلمهم سواء فى التأليف أو فى غزارة الإنتاج، فراح بعضهم يدافع عن مذهب أستاذه وآرائه، وآخرون كتبوا عن حياته وسيرته.

(١) انظر معجم الأدباء لياقوت الحموى ١٨/٥٢.

(٢) انظر على سبيل المثال: معجم الأدباء لياقوت الحموى ١٨/٥٤.

ولعل ابرز تلاميذ الطبرى القاضى ابو بكر احمد بن كامل بن خلف (١١٠ – ٥٠ ١هـ) وقد تولى قضاء الكوفة من قبل أبى عمر محمد بن يوسف.

وكان ابن كامل كأستاذه متنوع الثقافة، غزير الإنتاج، واشتهر بعلمه فى الفقه والتفسير والقراءات والأدب والتاريخ، وله كتاب فى غريب القرآن وكتاب فى السير وآخر فى القراءات، كما له كتاب فى التاريخ وكتاب المختصر فى الفقه وكتاب جامع الفقه وكتاب عن حياة الطبرى وسيرته يعد أوفى ما كتب فى هذا المجال[1].

ومن تلاميذه أيضاً القاضى أبو الفرج المعافى بن زكريا النهروانى المعروف بابن طرار، وقد اشتهر بإلمامه وحفظه لمذهب أستاذه وكتاباته كذلك بعلمه الواسع وذكائه. ومن كتب ابن طرار كتاب الحدود والعقود فى أصول الفقه، وكتاب المرشد فى الفقه كذلك، وشرح كتاب الخفيف للطبرى وكتاب القراءات وغيرها من الكتب المتنوعة[2].

ومنهم أيضاً أبو اسحاق بن إبراهيم بن حبيب الطبرى الذى ألف كتاباً فى التاريخ ضمنه من أخبار أستاذه وأصحابه الكثير، وله كتاب جامع الفقه وكتاب الرسالة[3].

أما تلميذه على بن عبد العزيز بن محمد الدولابى فله عدة كتب فى القراءات وأصول الكلام وإثبات الرسالة وغيرها.

وكان للطبرى الكثير من التلاميذ فى كثير من المدن العربية والإسلامية التى ارتحل إليها وعاش فيها وبخاصة فى بغداد ومن هؤلاء مخلد بن جعفر وأبو شعيب الحراني وأبو بكر محمد بن عبدالله الشافعى وعبد الغفار الحصيبى وغيرهم[4].

مؤلفاتـــــه :

وكان من الطبيعى لرجل مثل الطبرى، عاش ما يقرب من ستة وثمانين عاماً، انتقل فيها بين المدن والعواصم العربية ينهل من علومها ويتتلمذ على أيدى علمائها ومشايخها، فى وقت ازدهرت فيه شتى المعارف والعلوم، كان من الطبيعى أن يكون نتاج هذا كله مترجماً فى مؤلفات الطبرى المتنوعة والتى تعكس سمات ثقافته وشخصيته التى يقول عنها ياقوت فى معجمه:

«كان أبو جعفر قد نظر فى المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكثير من فنون أبواب الحساب وفى الطب، وأخذ منه قسطاً وافراً يدل عليه كلامه فى الوصايا، وكان عازفاً عن الدنيا تاركاً لها

---

(١) تاريخ بغداد٤/٣٥٧؛ معجم الأدباء ٤/١٠٢؛ ابن النديم، الفهرست، ليبزج،١٨٧١م، ص:٣٢.

(٢) الفهرست لابن النديم، ص:٢٣٦؛ وفيات الأعيان ٣/٣٣٢.

(٣) الفهرست لابن النديم، ص ٢٣٥.

(٤) لا أقوم فى هذا المجال بإحصاء تلاميذ الطبرى وإنما ذكرت بعضهم كأمثلة فقط، وقد ضمت المراجع العديد من أسماء هؤلاء انظر: طبقات الشافعية ٢/١٣٦؛ الفهرست ص ٢٣٥.

ولأهلها، يرفع نفسه عن التماسها، وكان كالقارىء الذى لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدث الذى لا يعرف إلا الحديث، وكالفقيه الذى لا يعرف إلا الفقه، وكالنحوى الذى لا يعرف إلا النحو، وكالحاسب الذى لا يعرف إلا الحساب، وكان عالماً بالعبادات، جامعاً للعلوم، وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً على غيرها»[1].

هذه الشخصية الموسوعية قدمت لنا مؤلفات عديدة ، كان أبرزها :

١ – جامع البيان فى تأويل القرآن .

٢ – تاريخ الأمم والملوك .

٣ – كتاب نيل المذيل : وهو فى تاريخ الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى عصر الطبرى .

٤ – لطيف القول فى أحكام شرائع الإمام .

٥ – الخفيف فى أحكام شرائع الإسلام ، وهو مختصر كتابه «اللطيف» .

٦ – كتاب بسيط القول فى أحكام شرائع الإسلام .

٧ – كتاب آداب القضاة .

٨ – تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار .

٩ – كتاب القراءات وتنزيل القرآن .

١٠ – كتاب أدب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة .

١١ – كتاب مختصر مناسك الحج .

١٢ – كتاب مختصر الفرائض .

١٣ – كتاب الموجز فى الأصول .

١٤ – كتاب فضائل على بن أبى طالب.

١٥ – كتاب فضائل أبى بكر وعمر.

١٦ – كتاب فضائل العباس (وقد مات قبل إكماله) .

١٧ – كتاب السند المجرد .

١٨ – كتاب الرد على ذى الأسفار .

١٩ – رسالة «البصير فى معالم الدين» .

---

(١) انظر: معجم الأدباء لياقوت ٦١/١٨.

٢٠ – رسالة «صريح السنة» ، ذكر فيها مذهبه ومعتقداته .

٢١ – كتاب فى عبارة الرؤيا (وقد مات قبل إتمامه أيضاً) .

٢٢ – كتاب فى الرد على ابن عبدالحكم على مالك.

٢٣ – كتاب الرمى بالنشاب .

٢٤ – اختلاف الفقهاء ويسمى اختلاف علماء الأمصار فى أحكام شرائع الإسلام .

هذا ما ذكره ياقوت فى ترجمته للطبرى ، وقد أضاف إليه الدكتور الحوفى كتباً أخرى أهمها[1].

١ – العدد والتنزيل .

٢ – مسند ابن عباس .

٣ – كتاب المسترشد .

٤ – اختيار من أقاويل الفقهاء .

تفســـيره :

قبل الحديث عن تفسير الطبرى، نشير بإيجاز إلى البدايات الأولى لحركة التفسير القرآنى بوجه عام . فقد كان من الحكمة الإلهية أن ينزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم منجماً حسب الوقائع والأحداث ، وكان عليه الصلاة والسلام يبين لأصحابه ما يحتاج إلى بيان ، وروى الصحابة ما سمعوه عن النبى ، ثم جاء التابعون فرووا عن الصحابة ما سمعوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما بدأ تدوين الكتب، جعل الكتّاب فيها ما روى الصحابة والتابعون من التفسير والذى شمل أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم، والتى توضح أسباب النزول أو الناسخ والمنسوخ أو بعض الأحكام الشرعية، ومن هنا ارتبط التفسير بالحديث الشريف وقد التزم الصحابة رضى الله عنهم بما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما التزم المفسرون الأوائل من أمثال ابن عباس ومالك بن أنس بذلك وابتعدوا عن التفسير بالرأى حرجاً، وربما كان ذلك بسبب إضافة الكثير من الأخبار والأساطير على أيدى معاصريهم سواء أكان مصدرها عن تراث أهل الكتاب أم من نبت خيالهم .

كما كان للقصاص دور فى ذلك الحشو الذى دخل التفاسير، حيث عمدوا إلى تشويق العامة فى المجالس برواية الغرائب دون توخى الحقائق، والأخذ عن بنى إسرائيل دون الالتزام بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم، وهم فى ذلك كله لم يخرجوا عن دائرة التفسير بالنقل دون الاعتماد على

---

(١) أحمد محمد الحوفى ، الطبرى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ١٩٧٠م، ص:٨٤، كما قام الدكتور الحوفى بالإشارة إلى الطبعات والتحقيقات التى تمت حتى صدور كتابه هذا لمؤلفات الطبرى . انظر : ص٧٦ – ٨٣ .